دراسة مقارنة في مسيرة التنمية بين الأدبين الصيني والعربي القديمين

يانغلو لي
جامعة شانغهاي للدراسات الدولية
/كلية الدراسات الآسيوية والإفريقية
lylken@hotmail.com

(مُلَخَّصُ البَحث)

تشتهر دولة الصين والعالم العربي منذ القدم بالتاريخ العريق للأدب، فظهرت في الوقت المبكر في المنطقتين عدد كبير من الأشعار والنصوص النثرية القديمة، وتطورت تلك الفنون الأدبية من عصر إلى عصر، كما تطور النقد والبلاغة وغيرهما من العلوم المعنية بالأدب، وبين الأدبين العربي والصيني القديمين أوجه اختلاف وتشابه عديدة من حيث مسيرة التنمية. وفي تيار العولمة، أصبحت كرة الأرض أصغر بفضل تقدم التكنولوجيا، وبدأ الشعب الصيني يرغب في معرفة العالم العربي على نحو متزايد، كما يرغب الشعب العربي في معرفة الصين، فتتكثف الاتصالات علميا بينهما مثل التبادلات في مجال الأدب القديم. لأجل تعزيز دراسة الأدبين العربي والصيني القديمين، علينا تولية الاهتمامات الأكثر في معرفة تنميتهما من حيث منبعهما ومراحل التنمية وثمارهما وممثليهما وغيرها. ويهدف هذا البحث المتواضع إلى استقصاء الموضوعات المذكورة أعلاه من طريق دراسة الوثائق، وسيستضيء أيضا بالمنهج التحليلي الوصفي والمنهج المقارن في دراسة المشاكل المعنية.

كلمات مفتاحية: الأدب الصيني القديم، الأدب العربي القديم، الأدب المقارنة، خصائص الأدب

المقدمة

رغم أن التبادلات اقتصاديا وسياسيا تتكثف يوما بعد يوم بين الصين والدول العربية، ولكن الاتصال في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية بينهما ليس كثيفا. وليس أدل على ذلك من أن نجد عددا غير كبير من البحوث التي تتطرق إلى موضوعات علمية. لذا يستحسن تكثير الدراسات في هذا المجال بما فيه الأدب. ومن المعلوم أن للأدبين الصيني العربي القديمين تاريخا عريقا. ومر كل منهما بمراحل عدة في مسيرة التنمية. ويهدف البحث هذا إلى توضيح بعض الإشكاليات

الخاصة بتنميتهما، وهي: ما مراحل تنمية للأدبين الصيني والعربي القديمين؟ وما خصائص تلك المراحل؟ وكيف تطورا في التاريخ؟ وما اتجاهات التنمية؟ ومن ممثلو تلك العصور وما هي إنتاجات أدبية ممثلة؟ وكيف يمكن المقارنة بين الأدبين في تلك العصور؟ وبعد حلول هذه المشاكل، يمكن للدارسين – سواء أ كانوا الصينيين أو العربيين – أن يروا ملامح تنمية لكل من الأدبين القديمين، مما يساعد على ترغيبهم في معرفة النقاط المشتركة والمختلفة بينهما بشكل دقيق، كما يمكن لهم أن يزيدوا معارف معنية بالبيئة التي كان عاش فيه الشعب الصيني أو العربي، أخيرا يمكن لهذا البحث أن يساعد الباحثين الآخرين على كتابة بحوث أخرى معنية في المستقبل القريب. وينقسم البحث هذا إلى سبعة أجزاء، وهي: الأول المقدم، والثاني نشأة الأدبين الصيني والعربي القديمين، والثالث الفترة الأولى لتنمية الأدبين الصيني والعربي القديمين، والرابع الفترة الثانية لتنمية الأدبين الصيني والعربي والقدمين، والخامس الفترة الذهبية للأدبين الصيني والعربي القديمين، والسادس اختلاف اتجاه التنمية للأدبين الصيني والعربي القدمين، والسابع نتائج البحث.

المبحث الأول: نشأة الأدبين الصيني والعربي القديمين

نشأ الأدب الصيني القديم قبل ثلاثة آلاف سنة في وادي النهر الأصفر الذي يعد ثاني أطول الأنهار بالصين، وحوضه يعتبر موطن الحضارة الصينية العريقة ومهد الأمة الصينية القديمة. ويمكن أن يرجع تاريخ كتابة اللغة الصينية إلى عهد أسرة شانغ الملكية (Shang) (سنة ١٦٠٠-١٠٤٦ ق.م.) وفقا لما وجد من الألفاظ المدونة فوق العظام ودروع السلاحف عن طريق الدراسات الأركيولوجية الحديثة، وهي العلامات التصويرية التي تختلف معانيها باختلاف نغماتها. وظهر في عصور ما قبل سلالة تشين المكلية (Qin) أول ديوان شعري غنائي يحمل اسم ((الأغاني)) (Shi Jing)، [١] وكان من خير ذخائر التراث الصيني العتيق، ويجمع أشعارا متفرقة للعديد من الشعراء هنا وهناك خلال خمسمائة سنة على الأقل، بعبارة أخرى يبتدأ وقت تأليفه من أوائل العهد لأسرة تشو الغربية الملكية إلى منتصف فترة الربيع والخريف، [٢] وعدد قصائده يتجاوز ثلاثمائة. وكانت بعض القصائد تتغنى بها في الطقوس التقليدية لأغراض شتى، وبعضها تتغنى بها في الحفلات والولائم ومناسبة العيد لهدف التسلية، وبعضها الآخر تعبر عن وجهات النظر لأصحابه إزاء القضايا الاجتماعية والسياسية، وتناولت جلها الغزل العفيف، ووصف حصاد الزروع والمناظر الطبيعية ومعاناة الشدائد وغيرها. وينقسم إلى ثلاثة أجزاء على ضوء خلاف الموسيقى الشعرية ومضامين الشعر (يوان شينغبي، ٢٠٠٣-أ، ص٦٥). ونبغ بعد ذاك ديوان شعري بعنوان ((تشو تسي)) (Chu Ci) بإمارة تشو (Chu) في فترة الممالك المتحاربة، [٣] ووسمته هذه الإمارة الصغيرة

بعلامة ثقافتها المتميزة وخصائص عصرها المنفردة، وأغلب قصائده تنتسب إلى الشاعر العبقري الصيني تشيوي يوان (Qu Yuan) (سنة ٣٤٢-٢٧٨ ق.م.) (قوه جي وآخرون، ١٩٩٨-أ، ص٥١٣).

كان أستاذ الأساتذة كونفوشيوس (Kong Zi) (سنة ٥٥١-٤٧٩ ق.م.) الذي يعد من موضع إجلال الناس - بلغ عدد تلاميذه حوالي ثلاثة آلاف، بعض تلاميذه من أبناء الأرستقراطيين وأكثرهم من أبناء العوام - يعايش التراث الصيني، وقرع أبواب العلم، فانفتحت له أبواب العلم والفقه، واستخرج منها كتبا كلاسيكية، وقام بجمعها وترتيبها، وصنف بضعة كتب جديدة، ومنها الكتاب التاريخي النثري ((الكتاب)) (Shang shu) و((الربيع والخريف)) وكتاب الفلسفة ((تغيّرات)) (Zhou Yi) وغيرها. [٤] وتلك الكتب المذكورة أعلاه قد وضعت في منهج التدريس كخلاصة ثقافة العصور السابقة في مدرسة أسسها كونفوشيوس. وكانت المدرسة الكونفوشيوسية تهتم أكثر بالنظريات الأدبية، وجنحت إلى إعلان القيمة الأدبية وإظهار المثل العليا.

وزيادة على ذلك ظهرت في هذا العصر وافر العدد من الكتب التي تجمع بين أروع التعابير والأساليب الأدبية وأنضجِ الأفكار في أنواع الميادين كالفلسفة والقانون والسياسة والحرب، وأمثالها كتاب ((منشيوس)) (Meng Zi) وكتاب ((تشوانغ زي)) (Zhuang Zi) وكتاب ((شون زي)) (Xun Zi) وكتاب ((هان فيزي)) (Han Fei Zi) وكتاب ((فن الحرب لسون زي)) (Sun Zi Bing Fa) وكتاب ((الأخلاق)) (Dao De Jing) وما إلى ذلك. [٥] وصفوة القول إن الآداب الصينية عصرئذ - سواء أ كانت شعرا أو نثرا - تحلّت بالبساطة والجمال والروعة، واهتمت بجوانب علمية.

أما الأدب العربي القديم، فولد في شبه الجزيرة العربية منذ العصر الجاهلي، وهي تقع في جنوب آسيا، ويحيط بها البحر من ثلاثة أطراف، وتتكون من هضب مرتفعة وجبال متسلسلة وبادية شاسعة، ومعظمها أرض رملية تتخللها بعض واحات ومراعي ونباتات صحراوية، وبعض أقاليمها سواحل، وبعضها الأخرى أودية وسهول، وتكثر فيها الثمار والزروع، وتتناثر فيها الخيل والإبل والغنم والبقر والحمار والذئب والظبي وغيرها من الحيوانات الوحشية والحيوانات الأليفة.

ورث العرب عن تلك الحقبة الجاهلية أدبا ناضجا شمل شعرهم ونثرهم، ولم تكن أكثر آثارهم الأدبية مكتوبة حين ذاك، إلا إذا كانت تستعمل لغرض مهم كالصكوك والعهود والكتب الدينية، فكانت تكتب عندئذ على قطعة من الحجر أو العظم أو الخشب وما أشبه ذلك. في غير ذلك كان العرب يعتادون حفظ آدابهم، فتناقلت كثرتها الغالبة جيلا بعد جيل معتمدة على الرواية الشفوية سواء أ كانت

خطبهم أم وصاياهم أم أمثالهم أم أشعارهم. على سبيل المثال من أراد أن يصبح شاعرا، اضطلع نفسه بدور الرواية، ولزم أحد فحول الشعراء، وروى له، وحفظ عن أشعاره. مثلا كان زهير بن أبي سلمى راوية أوس بن حجر، وراويته الحطيئة وابنه كعب بن زهير (أحمد مكي، ١٩٩٩، ص١٣).

وكان الشعر يحظى بعناية فائقة بين قبائل العرب، فقد كانوا يعتبرون الشعر تسجيلا لأيامهم ومناقبهم والبيئة التي عاشوا فيها وحياتهم التجارية والسياسية والثقافية والعلمية، وقد سجل شعراؤهم هذه الشؤون الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وتلك مناظر الطبيعة والحيوانات والنباتات الصحراوية في أشعارهم. واقتصر بعضهم على رسم صورة الأطلال والمنزل الداثر والحيوانات الوحشية وغير الوحشية، واشتهروا بها كالشعراء العشاق الذين شبهوا جفون النساء الكحلاء بعين الغزال السوداء. ومهر بعضهم الآخر بتصوير الحيوانات أيضا كالشاعر الجاهلي الشهير أبي ذؤيب الذي صور لنا بعض الحيوانات في شعره الذي كتبه لرثاء أولاده، حيث وصف أن خسمة منهم على قلب واحد، وانقاد أربعة منهم لخامسهم انقياد الأتن للحمار الوحشي، ووصف السادس منهم كثور وحشي ذي قوة وبأس، وشبه الموت بكلاب الصيد التي صارعت الثور واغتالته. ورأى بعض النقاد أن الراثي ينبغي عليه أن يعظم فضائل المرثي وينوه بشمائله، فعابوا أبا ذؤيب لأنه لم يتحدث عن خلال بنيه وشمائلهم في شعره. ولكن هذا النقد لا يصح، وذلك لأن الأتن والحمار والثور والكلاب ما هي إلا صورة جلية تعكس ملامح الحياة الجاهلية التي امتلأت من الفزع والخطر والرعب، وقد كسا الشاعر أولادهم ثيابا مكونا من صور الحيوانات ليضفي عليهم نشاطهم وقوتهم، ففي تلك الموصوفات أقوى دليل على أن الحمر والثور عماد حياة العرب في العصر الجاهلي، وتصوير الشاعر يرمز إلى أن أولادهم قوام الحياة، مما أثار انفعالات وجدانية ومنح شعره حركة متجددة وصورا حيوية. المهم أن الذي عاش في البيئة الصحراوية لا يمكنه أن يصور حياة الأَسكيمويين الذين عاشوا في القطب الشمالي للكرة الأرضية، واستحال له أن يصور أشكال رقع الثلج أيضا، مهما كانت مخمسة الزوايا أو مسدسة أو مسبعة أو معشرة، فالبيئة لها تأثير واضح في تكوين موصوفات الشعر والنثر في الأدب العربي القديم. وعكس الأدب ملامح قدامى العرب وجوانبهم النفسية ومثلهم الأخلاقية مثل الفروسية وإكرام الضيوف وإغاثة المستنجدين وما ماثله. أما موضوعاته، فلم تخرج عن رثاء الأقرباء ومدح الأغنياء، وهجاء الأعداء، والفخر بشن الغارات وتمجيد الانتصارات، والغزل الصريح والعفيف، والاطلاع على الغيب وغيرها من الموضوعات التقليدية التي شكلت العمود الفقري للأدب العربي القديم في شبه الجزيرة العربية كما رتب أبو تمام وقدامة وابن رشيق وغيرهم (شوقي ضيف، ١٩٦٠، ص١٩٥).

المبحث الثاني: الفترة الأولى لتنمية الأدبين الصيني والعربي القديمين

وفي عهد سلالتي هان الملكية الغربية (Xi Han) والشرقية (Dong Han) (سنة ٢٠٢ ق.م.-٩م؛ سنة ٢٥-٢٢٠)، بلغ الأدب الصيني مستوى رفيعا من النضج والنماء في الشعر والنثر وخاصة في النثر المسجوع الذي سمي باسم هان فو (Han Fu). وهذا النوع من النثر يجنح إلى التكلف المفرط، واحتفل بعض أصحابه بتنقيحه طمعا في إرضاء الرؤساء والحكام، واحتفوا احتفاء زائدا بالشكل الفني على حساب المضمون الفكري، وصياغة الألفاظ على حساب سبك المعاني باعتباره أدب البلاط. وأشهر من سلكوا هذا الفن عصرئذ يانغ شيونغ (Yang Xiong)، وسي ما شيانغرو (Si Ma Xiangru) وغيرهما، [٦] ولم يكن يانغ شيونغ كاتبا مشهورا فحسب، بل كان فيلسوفا بارعا أيضا. وصنف وانغ تشونغ (Wang Chong) كتابه ((الحوار في الميزان)) (Lun Heng) الذي يتطرق إلى قضايا الأدب والإيمان الأعمى ومشاكل الحياة وغيرها، وقدم بعض المعايير للنقد الأدبي. [٧] ورأى أن النصوص النثرية ينبغي أن تكون واضحة الملامح مبتعدة عن غابات الإبهام والغموض السوداء، وتكون غايتها في تهذيب الجماهير وتنويرهم، وإن كان لم تتحقق من روائها فائدة للقراء، فلا جدوى منها (قوه جي وآخرون، ١٩٩٨-ب، ص٤٥٨). وكانت نظرياته الأدبية تتركز على قيمة الأدب الاجتماعية. وفي عهد سلالة هان الملكية الغربية صنّف ليو شيانغ (Liu Xiang) كتاب ((سياسة الممالك المتحاربة)) (Zhang Guoce) المتألف من ثلاثة وثلاثين فصلا على أساس مؤلفات قديمة تبعثرت في فترة الممالك المتحاربة، [٨] وأورد فيه الأحداث الدبلوماسية والعسكرية بين الممالك الصغرى في طيّات المعارك والمناوشات في هذه الفترة. ولفظه جزل وأسلوبه متين ومعانيه قوية، وتكثر فيه الأمثال الصينية التي حجمها لم يتجاوز أربعة ألفاظ غالبا، وفتن بأساليب البلاغة.

وتأسست هيئة حكومية في هذا العصر خصيصا لجمع قصائد شعرية متداولة، وأشهر القصائد التي جمعتها قصيدة ((الطاووس يطير إلى الجنوب الشرقي)) (Kong Que Dong Nan Fei) وقصيدة ((توت الحقل)) (Mo Shang Sang)، [٩] وتحكي الأولى قصة مأساوية حقيقية، وتحكي الثانية قصة ملهاوية خيالية.

ويتناول كتاب ((مختارات التاريخ)) (Shi Ji) الذي ألفه سي ما تشيان (Si Ma Qian) من الأحداث التاريخية البارزة ما شهدته العهود السابقة قبل سلالة هان الغربية الملكية بثلاثة آلاف سنة، كما يتناول مناقب قدامى الملوك، وسير المشهورين والسادة الأشراف، [١٠] ويسجل فيه أخبار القوميات والتقاويم والاقتصاد ومنشآت الريّ وغيرها من الفروع العلمية (لي شياولونغ وآخرون، ٢٠٠٤-أ، ص٤٩)، ويشتمل على أكثر من نصف مليون لفظ، وامتاز برصانة الأساليب الأدبية والأوصاف المحكمة الحيوية.

أما الفترة الأولى لتنمية الأدب العربي القديم، فهي فترة بعيد مجيئ الإسلام، فشهدت حياة العرب تحولا جذريا، من حيث إنه قد نقلهم من طور التجزئة إلى طور التوحد، ومن عبادة الأوثان إلى احتضان دين التوحيد. وظهرت بعض الفنون الأدبية الجديدة، بينما تطورت بعض الفنون القديمة. دعا الإسلام شعراء العرب إلى تجديد أغراض الشعر، وتداولت ألسنهم أغراض عديدة كالفتوح والجهاد، فأصبح شعرهم يخدم إيمانهم خير الخدمة. وأدرك الإسلام كثير من الشعراء الجاهليين، ودخلوا في دين الله أفواجا، بحيث وقفوا معه ودافعوا عنه ونصروه بشعرهم، وتقدم عليهم شعراء الرسول الثلاثة – حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة الذين احتدم الهجاء بينهم وبين شعراء مكة (شوقي ضيف، ١٩٧٣، ص٤٧). وكان هؤلاء الشعراء يمدحون الرسول ويقارعون خصومه، وما كتبوه من الأشعار مصبوغة بالصبغة الدينية الجلية، وتكلموا فيها عن المصطفى والرب والمصلى والجنة التي لم تكن موجودة في الشعر الجاهلي. وبالعبارة المجملة، كانت هناك نقلة فنية من الأدب الجاهلي إلى الأدب الإسلامي شكلا ومضمونا.

وكان ظهور الإسلام إيذانا بإثبات أقدام الخطابة، وفي عصر الخلفاء الراشدين كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يحمد الله تعالى ويثني على نبيه في خطبه. وتتحلى صياغة خطبه بأسلوب فيه إيقاع الشعر ونقاء لغته وروعة تصويره البياني (محمد مندور، ٢٠١٢، ص١٥٨). وأخذ فن الخطبة يزدهر عصرئذ على منبر المساجد. وكان الشيخ الشيباني اصطحب فاتح شبه القارة الهندية محمد بن القاسم الثقفي ذهابا إليه إبان الفتوحات في القرن الأول الهجري، وعينه أخيرا في منصب قاض بمنطقة سيستان وقلده خطيبا لمسجد الجامع، بعد ذلك ولاه الخليفة عمر بن عبد العزيز الأموي منصب القاضي والخطيب مرة ثانية، ولعل كل ذلك يدل على أن المسلمين اعتنوا بفن الخطابة. وفي نفس الوقت بدأت بعض الفنون الأدبية التي لها صلة بالعصر الجاهلي تتضمر في عصر صدر الإسلام، مثلا كان فن السجع الديني دارجا جدا في نطاق واسع في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، وزعم الكاهن أنه بقدرته استطاع أن يطلع على الغيب، وكان الناس يلجأون إليه ليجدوا طرائق مفيدة للتغلب على مشاكلهم، وكان الكاهن لا يتكلم إلا بالسجع المفعم بالألفاظ الغامضة المبهمة، وهذا نوع من الأدب يرتبط بالأديان الوثنية الجاهلية ارتباطا وثيقا، فأخذ المسلمون يتنازلون عنه بعد مجيء الإسلام.

المبحث الثالث: الفترة الثانية لتنمية الأدبين الصيني والعربي والقديمين

وفي الفترة الثانية لتنمية الأدب الصيني القديم أي في عهد أسر وي وجين الملكية (Wei Jin) وعهد أسر نان وبي الملكية (Nan Bei Chao) (سنة ٢٢٠–٥٨٩)، ظل الشعر يتبوأ منزلة مهمة، وما زال جل الشعراء يجاريون القدامى في التقاليد الشعرية الفنية،

وكان مصراع البيت خماسي الألفاظ. وقد ظهر مجموعة من فحول الشعراء، منهم تساو تساو (Cao Cao) وولداه تساو بي (Cao Pi) وتساو تشي (Cao Zhi) وتاو يوانمنينغ (Tao Yuanming) وغيرهم. [١١] شغف الشاعر تاو يوانمنينغ بوصف الريف والحياة الريفية المثالية الخالية من الحروب والكوارث واشتهر به، ووصف من الحقول والبساتين والينابع والأنهار والبحيرات ما تخيله في المناظر الخّلابة وصفا منحه حياة شاخصة وحركة متجددة، بحيث أسس مدرسة شعرية جديدة معروفة بمدرسة الشعر الريفي، ويعد من أشعر شاعر في تاريخ الأدب الصيني (يوان شينغبي، ٢٠٠٣–ب، ص٨٠). ومن أشهر الأشعار الشعبية التي لاحت في ذاك العصر قصيدة ((أنشودة مو لان)) (Mu Lan Shi)، [١٢] حيث تروي قصة للفتاة الشجاعة التي نكّرت نفسها في زي رجل من أجل تأدية الخدمة العسكرية الإجبارية بدلا من أبيها العجوز المسن.

وتبلورت معالم النقد الأدبي في هذا الوقت على يد تساو بي صاحب مقالة ((في النقد الأدبي)) (Lun Wen)، [١٣] والذي يعد من بواكير الكتب المتخصصة في مضمار النقد، وتكاملت معالمه على يد تشونغ رونغ (Zhong Rong) صاحب كتاب ((تذوق الشعر)) (Shi Pin) الذي يعد أول كتاب تخصص في دراسة الشعر على وجه الخصوص، [١٤] حيث قسم الشعراء إلى ثلاثة طوائف حسب جودة الشعر تمييز جيده من رداءته، وكشف فيه آثار البيئة على مضامين الشعر والشاعر، وأولى عناية كبيرة في التناسق الأسلوبي الفني والاستشهاد الصحيح بالأمثال القديمة ودقة توظيف الوزن والقافية وغيرها من قضايا النقد الهامة. وبذل جهودا مضنية ليو شيه (Liu Xie) صاحب كتاب ((نحت التنين في الكتابة)) (Wen Xin Diao Long) في إنشاء القواعد النقدية، وهو دليل يسترشد به الكتاب، [١٥] ويقصد عنوانه بأن عملية الإبداع شبيهة بعملية نحت التنين الحجري والخشبي، وهي تطلب من المؤلف دقة الملاحظة وممارسة عناء البحث ورهافة الحس، كما تطلب منه ذوقا سليما. وألف لي داويوان (Li Daoyuan) في عصره تفسيرا فذا لكتاب ((جريان الأنهار)) (Shui Jing) في أربعين جزءا وبلغ ثلاثمائة ألف من الألفاظ، [١٦] وزوّد عصره بوفرة من المعلومات المفصلة لألف نهر جرى في داخل الصين حين ذاك، كما دون ما تعلق به من الخصائص الجغرافية الطبيعية والملامح الطوبوغرافية والثقافات المحلية والتاريخ والأساطير ومواصفات المدن الصينية والأجنبية والمحصولات والموارد الطبيعية والمناظر السياحية أيضا، ولم يكن لمؤلفه هذا قيمة علمية لم يسبقها مثيل في التاريخ فقط، بل له قيمة أدبية عالية كذلك. وانبثق في الحياة الأدبية نمط بدائي للقصص الصينية حينئذ كقصة ((صائد الشيطان)) (Song Ding Bo Zhuo Gui). [١٧]

أما الأدب العربي القديم، فوصل إلى الفترة الثانية للتنيمة في العصر الأموي. وتحول الحكام الأمويون عن المراكز الأصلية إلى دمشق عصرئذ، فتوسعت أراضي بني الأمية إلى خراسان والشام ومصر وبلاد المغرب. ووجد الأدب العربي بيئة جديدة تختلف عن شبه الجزيرة العربية، فتلون بألوانها، فوصلت الفنون الأدبية شعرا ونثرا إلى مستوى رفيع من النضج والنماء في هذا العصر. وساهم شعراء العرب في تطوير ضرب من الشعر وهو الشعر السياسي، وذلك بسبب تشتت الفئات السياسية في هذا الوقت، وانقسموا إلى أحزاب متباينة مثل الشعراء الزبيريين وشعراء الخوارج وشعراء الشيعة وعلى نحوهم، وكان الشعر يجري على كل لسان، واتخذه الأمويون وخصومهم أداة للتعبير عن آرائهم السياسية المختلفة (شوقي ضيف، ١٩٧٣، ص١٩٣). وقد شهد هذا العصر نمو شعر الغزل أيضا، ولاحت بعض الأسماء للشعراء العذريين في كتاب ((الأغاني)) الذي ألفه أبو الفرج الإصفهاني، ومنها قيس ابن الملوح المعروف بمجنون ليلى، ومع أن بعض الرواة أنكروا وجوده في التاريخ وبعضهم الآخر لم يشكوا في وجوده، ولكن أخباره وعناية الأصفهاني بها قد دلت على آثار العقيدة الإسلامية على الإنتاجات الأدبية. وأدى احتدام العصبيات القبلية في خراسان والبصرة إلى نبوغ فن النقائض، ومن أشعر هؤلاء الشعراء المناقضين جرير والفرزدق والأخطل، وقيل إن النقائض التي دارت حول عشيرتي كليب ومجاشع استمرت نحو خمس وأربعين عاما (شوقي ضيف، ١٩٧٣، ص٢٤٢).

المبحث الرابع: الفترة الذهبية للأدبين الصيني والعربي القديمين

ازدهر الأدب الصيني مع مرور الزمان في أنحاء الصين عبر عهود السلالة الملكية الإقطاعية، وبلغ عنفوان المجد في عهد سلالة تانغ الملكية (Tang) (سنة ٦١٨-٩٠٧)، وهو يعد أيضا أزهى العهود حضارة وأرقاها في تاريخ الصين القديم، وهو الذي يوازي العصر العباسي في نفس الفترة الزمنية تقريبا. وقد شهد هذا العهد نبوغ مئات الآلاف من الشعراء المبدعين الذين تتّسم أشعارهم بملامح جديدة، ومن أشعر الشعراء آن ذلك لي باي (Li Bai) الملقّب بإله الشعر، [١٨] وهو من أعاجيب زمانه، وكان شاعرا ذا بطولة غزير الإنتاج شديد الذكاء موفور الموهبة، وقد بلغ غاية من الشهرة أخمل فيها كثيرين من شعراء عصره. وتغلب على شعره الألفاظ الجزلة الموحية والعواطف المستقيمة والمشاعر الصادقة والأخيلة الواسعة والأساليب البلاغية الأخاذة. وشعره خال من التلكف والصنعة ومصبوغ بالصبغة القريبة من الرومانسية الحديثة، وأغراض شعره متعددة، ومنها الغزل العفيف والمدح والوصف والفخر والهجاء والرثاء وعلى نحوها. وكان شديد التعاطف مع معاناة الشعب، وعايش المجتمع مخلصا للقضايا الواقعية، فتجلت في شعره شدة الحب والكراهية لشيء ما (يوان شينغبي، ٢٠٠٣-ب، ص٢٩٢-٢٩٥)، ووصلت إلينا ألف قصيدة من قصائده تقريبا.

وتقدم الأدب العربي حتى بلغ عنفوان المجد في العصر العباسي، وظهرت مجموعة من الشعراء ذوي القدح المعلى، ومن أمثالهم بشار بن برد وأبو نواس وأبو العتاهية ومسلم بن الوليد وأبو تمام والبحتري وابن الرومي وابن المعتز (تشونغ جيكون، ٢٠١٠، ص٢١). وانتشر فن النقد، وازدادت كتب النقد ككتاب ((البديع)) لابن المعتز وكتاب ((قواعد الشعر)) لقدامة بن جعفر. واشتد الصراع بين مدرسة التجديد التي كانت على رأسها أبو تمام وبين المدرسة المعارضة المحافظة التي كانت على رأسها البحتري، فساعد هذا على بلورة حركة النقد في هذه القرون. ولم ينته الصراع الحاد بين المدرستين حتى شغل هذا العصر كله شعر أبي الطيب المتنبي بمفرده الذي يتميز شاعرية فذة.

ونشطت الكتابة في هذا العصر واسع النشاط، ومن الكتاب ذوي الباع ابن المقفع الذي جعل فن الرسالة يخطو خطوة أخرى، وهو كاتب غزير الإنتاج، ومن مؤلفاته ((الأدب الصغير)) و((الأدب الكبير)) و((كليلة ودمنة)). وانطوت على تأليفات جاحظ روائع الشعر وبدائع النثر وطرائف الأخبار مثل ((البخلاء)) و((الحيوان)) و((البيان والتبيين)) التي تجلت عالميته الموسوعية فيها، وهو ملأ الدنيا وشغل الناس بملكاته النادرة، وما وصلها به من ذخائر الثقافات الأجنبية (شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، ١٩٧٣، ص٦١٠). وانبثق من هذا العصر فن أخر عرف بفن المقامات وهو يشابه قصص اليوم، ويجنح في مضمونه إلى السخرية والدعابة، وكان بديع الزمان الهمداني أستاذ هذا الفن رغم عجمته. وكانت أكبر ثمرة في هذا العصر هي تكامل معالم البلاغة على يد الإمام عبد القاهر الجرجاني صاحب كتاب ((دلائل الإعجاز)).

المبحث الخامس: اختلاف اتجاه التنمية للأدبين الصيني والعربي القدمين

بعد وصول الأدب الصيني القديم إلى قيمة التطور، ما زال يتقدم حتى شهد مزيدا من الإنجازات. وخطا الأدب الصيني شعرا ونثرا في عصور ما بعد سلالة تانغ الملكية خطوة جديدة، [١٩] ويعد الشاعر لو يو (Lu You) الذي عاش في عهد سلالة سونغ الجنوبية الملكية هو من أغزر الشعراء الصينين إنتاجا، وبلغ عدد قصائده حوالي عشرة آلاف، وكان شاعرا وطنيا مرموقا وماهرا جدا في فن الخط الصيني، وذكر أن من أراد أن يشعر، فليعايش المجتمع. [٢٠] وأوجدت الحياة الأدبية نوعا جديدا من الأدب وهو المسرحية الشعرية الصينية، وحبت عبر العصور حتى راجت رواجا في عهد سلالة يوان الملكية، وكان قوان خانتشينغ (Guan Hanqing) أبي المسرحية الصينية، [٢١] وترك بصمات واضحة في نهضة هذا الفن، وكثيرا ما اشترك بعينه في عرض مسرحيات كتبها، ونقل فيها طبقة الفقراء والمعدمين وبيئة يعيشون فيها تمجيدا لدورهم البطولي وكفاحهم في خلق التاريخ وتعبيرا عن آلامهم وآمالهم ومعاناتهم، وكذلك أماط اللثام عن وجه الولاة الفضيح الذين لم يرحموا أبناءهم. واهتم

الكاتب اهتماما بالغا برسم صورة المرأة فيها، بحيث أبرز دورها الرائد في بناء الأسرة والأمة (يوان شينغبي، ٢٠٠٣–ت، ص٢٧٢). وأبدع طول حياته ستين مسرحية، ومعظم مسرحياته تميل إلى طابع مأساوي، وبعضها ما زالت تعرض على خشبة المسرح حتى اليوم.

قطعت القصة الطويلة والقصيرة شوطا طويلا في عهد سلالتي مينغ وتشينغ الملكيتين، وتبلورت أربع روايات رائعة في هذا العصر، وهي الرواية التاريخية ((الممالك الثلاثة)) (San Guo Yan Yi)، والرواية الثورية ((حكاية ضفة البحيرة)) (Shui Hu Zhuan)، والرواية الأسطورية ((رحلة إلى الغرب)) (Xi You Ji)، الرواية المأسوية ((حلم المقصورة الحمراء)) (Hong Lou Meng). [٢٢]

أما الأدب العربي القديم، فشهد بعض مصاعب بعد العصر الذهبي. وفي عصر المماليك والعصر العثماني، شبت حروب طاحنة بين الصليبيين والتتار والعثمانيين، واستمرت رحى الحروب سنوات، بيد أن الأدب العربي ظل يتطور بفضل حركة جليلة الشأن تسعى لإحياء العلوم الإسلامية، ولا سيما بعد هجرة عدد كثير من العلماء من العراق إلى الشام ومصر. وبدأت في العصر المماليك بناية دور التعليم كجامع عمرو والجامع الأزهر وغيرهما حيث أدت وظيفة هامة لتعميم العلم والأدب، كما أسست عدة دور كتب، قد جلبت نظر الحكام والعلماء والأدباء إليها، من أشهرها خزانة جامع الحاكم بأمر الله وخزانة القبة المنصورية (محمود رزق سليم، ١٩٥٧، ص١٣)، وكانت تحتشد فيها كتب نفيسة فياضة بأنواع مختلفة ككتب التاريخ والحديث والتفسير والفقه والتصوف واللغة العربية وفنونها، نتيجة لانتعاش حركة التأليف التي أثارها هذا النشاط العلمي.

بالإضافة إلى ذاك كان فن الكتابة والإنشاء نضرا وأينعت في عصرئذ، وعنيت أصنافه عناية ملحوظة، ومنها الرسائل الديوانية التي تعددت أغراضها كالرسائل الملوكية والمبايعات والبشارات، والرسائل الإخوانية، والاستجازات والإجازات، والرسائل والمقالات الوصفية، والموازنات والمفاخرات وما شاكله. وبعد أن فتح العثمانيون مصر، أصبحت مدينة القسطنطينية عاصمة الدولة العثمانية، ومن ثم صارت مركزا للعلوم والأدب، ولكن اللغة العربية تضاءل شأنها، وقامت مقامها اللغة التركية تدريجيا، وباتت لغة رسمية في الهيئة الحكومية، واضمحلت آثار الأدب العربي شيئا فشيئا إلا على منبر المساجد وبعض الأشعار والكتابات.

نتائج البحث

بالرغم من أن كل من الأمتين الصينية والعربية قد شهدت في مسيرتها التاريخية أدوارا من المد والجزر، ولكنهما ظلتا تسعيان إلى السلام والأمن وحريصتين على حفظهما، بل ودائما راغبتا في تطوير العلوم والمعارف والحضارة،

فتطور الأدبان الصيني والعربي القديمان من عصر إلى عصر حتى شهدا إنجازات باهرة. ومن أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث أن بين الأدبين الصيني والعربي القديمين بعض أوجه الشبه والاختلاف. ومن بين أوجه التشابه أن كل الأدبين لهما تاريخ طويل. ولعل الشعر هو أول نوع أدبي ظهر في الصين والعالم العربي حسب الكتب الأدبية. ويبدو أن الشعبين يتلذذان بهذا الفن تلذذا جدا في حياتهما. وفي الصين كانت الأشعار تتغنى في مناسبات مختلفة كالطقوس التقليدية والحفلات والولائم وغيرها. وفي شبه الجزيرة العربية كانت الأشعار تنتقل بين الأجيال من طريق الحفظ، فمن أراد أن يصبح شاعرا، فعليه أن يروي لأحد الشعراء المشهورين ويحفظ شعره، كما تسابق الشعراء في عرض أشعار كتبها في الأسواق الأدبية الخاصة. وكتب شعراء الصينيون والعرب بعض أشعار تشترك في نفس الأغراض مثل وصف المناظر الطبيعية والغزل والرثاء إلخ. وما كتبه الشاعر يتعلق ببيئة عاش فيها، فلا غرو أن الثور الوحشي وكلاب الصيد والأطلال ليست لها وجود كثير إلا في الشعر العربي. وكان الشعر والنثر في الصين والعالم العربي يعدان من أدوات التسجيل لبعض علوم مهمة كالتاريخ والفلسفة والدين، ولم يتغير دورهما في العصور اللاحقة. وفي الفترة الأولى لتنمية الأدبين، تطورا شيئا فشيئا – سواء أكان شعرا أو نثرا، فكثرت أعداد الإنتاجات الأدبية وتوسعت الأغراض والموضوعات. وشهدت الصين والعالم العربي حينذاك بعض المعارك، وانعكست في مضمون الشعر والنثر. وظهرت في الشعر الصيني قصة الحرب، بينما ظهرت في الشعر العربي قصة الفتوح ومكافحة عدو الإسلام. وفي النثر الصيني، تناول بعض المؤلفين عن أحوال الحرب وحلولها وإستراتيجياتها، بينما تناول المؤلفون العرب في نثرهم مناقب حميدة واستنفارات ودعوات. وفي الفترة الثانية لتنمية الأدبين، ما زال الشعر يحتل مقاما مهما، وما زالت موضوعاته تتوسع مسايرة مع حاجة العصر. وفي الفترة الذهبية، ازدهر الأدبان. نتيجة عن ذلك، كثرت الإنتاجات الأدبية التي لا مثيل لها سابقا. بمصادفة، كان عهد أسرة تانغ الملكية يوازي العهد العباسي للعالم العربي في نفس الفترة الزمنية تقريبا، فهما تمثيل لهذه الفترة الذهبية العلمية. وظهر في هذا العصر مجموعة من الشعراء الأفذاذ، فتركوا أعمال أدبية خالدة في التاريخ. من أمثالهم في الصين لي باي وغيره، ومن أمثالهم في العالم العربي مسلم بن الوليد وأبو تمام وغيرهما. وبعد انتهاء العصر الذهبي، ظل الأدبان يتطوران، كلهما حقق إنجازات في بعض الأنواع، مثلا ظهر في الصين فن المسرحية التي كتبت بالصينية القديمة، وأينعت الرسائل الديوانية في

العالم العربي. ولكن الاختلاف في مسيرة التنمية بينهما صار أكثر وضوح، إذ أن التركية قامت مقام العربية تدريجيا، فأصبح الأدب العربي القديم اضمحل شيئا فشيئا، وكأنه كاتب يفقد قلمه. أما أوجه الاختلافات بين الأدبين في العصور السابقة، فهي كثيرة. وكان قدامى الصينيين يهتمون بالكتابة والتسجيل بفضل ابتكار أداة التسجيل واللغة بصورة أينع في وقت مبكر، وليس أدل على ذلك من أن نذكر ديوان الشعر الشعبي المسمى بـ ((الأغاني)). أما العرب، فتعاودوا إلى الحفظ. ولم يسجلوا أي أعمال أدبية إلا لهدف مهم. وفي الفترة الأولى لتنمية الأدبين، يبدو أن دين الإسلام يؤدي دورا بارزا في تحديد موضوعات الأعمال الأدبية، وهي دين التوحيد. أما في الصين، فلم نجد إلا أديانا كثيرة، فلم تؤدي دورا مهما في الإنتاجات الأدبية بقدر ما يؤديه دين الإسلام. على عكس عنصور الدين، كانت الفلاسف تؤدي دورا أهم في مجال الأدب، فظهرت كثير من كتب الفلسفة عصرئذ. وفي الفترة الثانية لتنمية الأدبين، ظهر فن النقد في الصين، وسجلت في الكتب المهنية نظريات مفيدة. أما العرب، فشغلتهم كتابة أشعار النقائض بسبب الحروب المتتالية واختلاف الأراء السياسية. وفي الفترة الذهبية للأدبين، كان العرب يهتمون بدراسة النقد والبلاغة أكثر مما درسه الصينيون، فظهرت الأشعار الجديدة الطراز في العصر العباسي، التي تملؤها وسائل بلاغية مبتكرة. ويبدو أن العرب لهم نظام كامل لعلم البلاغة والنقد، بينما لم تصل الصين في مجال البلاغة والنقد إلى ما يصل إليه العالم العربي من المستوى الناضج. ومن أهم الملاحظات التي يجب أن يقف عندها البحث أن عقد المقارنة بين الألوان الأدب المختلفة ومواضيعها وأصحابها ومسيرة تطورها عبر العصور العربية والصينية المتعددة هو أمر مهم في دراسات مستقبلة، وذلك مثل المقارنة بين خمريات أبي نواس وخمريات لي باي، ودراسة تاريخ الأدب بين الفترتين الأدبيتين الذهبيتين كالعصر العباسي وعصر سلالة تانغ الملكية، والمقارنة بين المقامات العربية والقصص الصينية القديمة، ودراسات أدب البلاط لشعراء العرب والشعراء الصينين، والدراسات المقارنة بين أغراض الشعر كالمقارنة بين وصف الشعر العربي ووصف الشعر الصيني، وتدقيق البحوث في قضية الانتحال والافتعال للأدبين العربي والصيني، وتعليل شخصيتي الأديبين ومساهماتهما في مجال الأدب.

الهوامش

(١) اشتملت هذه العصور على أسرة شيا الملكية (Xia)، وأسرة شانغ (Shang)، وأسرتي تشو الملكية الغربية (Xi Zhou) والشرقية (Dong Zhou)، وفترة الربيع والخريف (Chun Qiu)، وفترة الممالك المتحاربة (Zhan Guo)، امتدادا من القرن ال٢١ قبل الميلاد إلى القرن ال٣ قبل الميلاد. وتأسست سلالة تشين الملكية سنة ٢٢١، وانتهى حكمها سنة ٢٠٨ قبل الميلاد.

(٢) تأسست أسرة تشو الملكية الغربية سنة ١٠٤٦، وانتهى حكمها سنة ٧٧١ قبل الميلاد. تأسست أسرة تشو الملكية الشرقية سنة ٧٧١، وانتهى حكمها سنة ٢٥٦ قبل الميلاد. وراحت ممالك تابعة لها تتحارب مع بعضها سعْيا وراء الأراضي والسلطة في فترة ما بين سنة ٧٧٠ وسنة ٤٧٦ قبل الميلاد بسبب أن الحكومة المركزية فقدت سيطرتها عليها، وتسمى هذه الفترة التاريخية التي كثرت فيها حروب أهلية باسم فترة الربيع والخريف.

(٣) قد يعود تأسس إمارة تشو إلى نهاية العهد لأسرة شانغ الملكية، وانتهى حكمها سنة ٢٢٣ قبل الميلاد. واستمرت تلك الحروب الأهلية الطاحنة بين الممالك الكبيرة والصغيرة، وصارت نطاقها أوسع مما كان عليه في الفترة السابقة، ولم تخلُص إلا بعد توحيد أرض الصين على يد مؤسس سلالة تشين الملكية سنة ٢٢١ قبل الميلاد، وتسمى هذه الفترة فترة الممالك المتحاربة.

(٤) يتناول كتاب ((كتاب)) تاريخ ما قبل سلالة تشين الملكية، وسجلت فيه كثيرا من المحادثات بين الملك وولاته، وهو كتاب مهم للدراسات التاريخية والأدبية والسياسية في ذلك الزمن. وذكر فيه بعضَ مثل رائعة كـ "لا تثق بالأقوال لو لم تتحقق؛ ولا تتقبل الأراء، لو لم تستشِر جمهور الناس فيها. سجل في كتاب ((الربيع والخريف)) حوادث تاريخية كبرى بناء على ترتيب الفصول الأربعة في كل سنة، وتناولت أكثرها ثورة المتمردين. ودون فيه كذلك بعض الظواهر الطبيعية والعلمية كمثل رصد مذنب هالي ورقابة زِلزال الأرض والفيضان وكسوف الشمس وخسوف القمر وإلى آخره. تطرق كتاب ((تغيرات)) إلى علاقات الإنسان وعلاقته بالطبيعة والكون وغيرها، وطرح بعض موضوعات هامة مثلا لكل الناس رؤيتهم تجاه الشيء الواحد. وترجمه المستشرق الألماني ريتشارد ويلهيلم (سنة ١٨٧٣ – ١٩٣٠) إلى اللغة الألمانية لما جاء الصين، والذي ترجمه يعتبر أحسن نسخة مترجمة عند العلماء المتخصصين في دراسة الصين في مغرب الشمس.

(٥) ألف المفكر الصيني منشيوس (سنة ٣٧٢ – ٢٨٩ قبل الميلاد) كتاب ((منشيوس)) تعبيرا عن أفكاره السياسية، ورأى أن طبيعة الإنسان يغلب عليها خير أصلا، وعلى الحاكم أن يراعي أبنائه بالرحْمة والشفقة، ويقف على حاجاتهم الضرورية، وبذلك يمكنه أن يظفر بقلب الشعب ومحبته واحترامه. تم تأليف كتاب ((تشوانغ زي)) على يد تشوانغ زي (سنة ٣٦٩ – ٢٨٦ ق.م.)، وهو مفكر وفيلسوف وأديب ذو القِدح المعلى، وفسر في كتابه هذا فلسفته الذاتية حول العالم، ودعا إلى عدم مخالفة مشيئة الإنسان قوانين طبيعية موضوعية في الحياة اليومية. قد تبقت ثلاث وثلاثون مقالة في كتاب ((شون زي))، وكتبه العلامة الكبير شون زي (سنة ٣١٢ – ٢٣٨ ق.م.)، ورأى أن طبيعة الإنسان يغلب عليها شر أصلا، وجمع بعض الأغاني الشعبية التراثية المتداولة في إحدى مقالاته، فضلا عن أن يلخص في كتابه مذاهب فلسفية سابقة في عصور ما قبل سلالة تشين الملكية بشكل عام. تم تأليف كتاب ((هان فيزي)) على يد أبرز المفكرين الصينيين هان في (سنة ٢٨١ – ٢٣٣ ق.م.)، وبلغ عدد ألفاظه أكثر من مائة ألف. ودعا إلى الفلسفة

المادية، وآمن بالنفعية، ورأى أن سلطة الملك أعلى من القوانين الشرعية، وعلى رعاياه الخضوع لها مطلقا. كتب سون وو (سنة ٥٤٥ – ٤٧٠ ق.م.) (Sun Wu) كتاب ((فن الحرب لسون زي)) الذي طرح فيه مجموعة من النظريات العسكرية والإستراتيجية الناضجة، مثلا قد ذكر أهمية جمع المعلومات العسكرية وتحليلها، وإنما من يعرف معلومات العدو ينجح في الحرب، فدعا إلى إقامة المخابرات الكاملة لتتجسس قوة العدو وتخطيطه ومَؤونته وغيرها وتدافع الدولة عن التجسس وتبث معلومات عسكرية مزيفة تربك العدو وتخدعه. تم تأليف كتاب ((أخلاق)) على يد المفكر الصيني لاو زي (Lao Zi)، وقيل إنه كان يعاصر كونفوشيوس. وتطرق كتابه إلى مسائل فلسفية شتى كمفهوم الكون وحياة الإنسان وقيمه والنظريات السياسية والمنهجية وغيرها. وكان لأفكاره العلمية آثار واضحة على أدب المهجر في الدول العربية.

(٦) ولد يانغ شيونغ سنة ٥٣، وتوفي سنة ١٨ قبل الميلاد. كان فيلسوفا وأديبا وعالما لغويا في سلالة هان الملكية الغربية. وألف كتابا معنونا بـ ((لهجات))، ودرس فيه لهجات متنوعة في ذلك العصر. ولد سي ما شيانغ رو سنة ١٧٩، وتوفي سنة ١١٧ قبل الميلاد. كان يتقن بنوع من الآلات المطرِبة الصينية القديمة، واشتهر بعزف عليها. ورأى أن لكل شيء صفتين متلازمتين، وهما البداية والنهاية، أو الحياة والموت. وذكر أن من نوى خيرا فأصبح صانع الخير، ومن نوى شرا فأصبح صانع الشر، فاجتمعت طبيعة الإنسان بين كليهما أصلا.

(٧) ولد وانغ تشونغ سنة ٢٧، وتوفي سنة ٩٦ ميلاديا، وكان فيلسوفا وناقدا في عهد سلالة هان الملكية الشرقية. تم تأليف كتاب ((الحوار في الميزان)) سنة ٨٦ بعد الميلاد تقريبا، ويشتمل على خمس وثمانين مقالة، وهو كتاب يمثل الفلسفة المادية عند قدامي الصينيين أيضا.

(٨) ولد ليو شيانغ سنة ٧٧، وتوفي سنة ٦ قبل الميلاد، وكان أديبا في عهد سلالة هان الملكية الغربية، كما كان يعمل على جمع معلومات الكتب ويهتم بوصفها وتسجيلها بشكل موجز على نحو ما يفعله علماء الببليوجرافيا اليوم. لم يكن كتاب ((سياسة الممالك المتحاربة)) كتابا تاريخيا ذا أهمية كبرى فحسب، بل كان يمتاز ببراعة التعابير وروعة الأساليب الأدبية المتكمنة في قوة اللغة كذلك، ويتناول الكتاب هذا أحداثا تاريخية لاثنتي عشرة ممكلة خلال حوالي ثلاثة قرون.

(٩) بلغت القصيدة الأولى أكثر من ١٧٠٠ لفظا، لذا يعتبر من أطول القصائد الشعبية القديمة. وتحدث الشاعر قصة الحب الدائم الراسخ بين الزوجين، بيد أنها تخلص بنتائجة حزينة فاجعة بعد انتحارهما بأنفسهما. كتبت القصيدة الثانية بصورة مختصرة، وتحكي قصة الفتاة الظريفة التي تعيب الوالي بحجة وحق، عندما لم يلتزم بالأدب معها وهو يريد التحرش بها بكلامه وسلوكه غير المناسبين، فأحجلته أمام غيره، فانصرف فورا.

(١٠) انقسم كتاب ((مختارات التاريخ)) إلى خمسة أجزاء: والأول طرائف الحديث ونوادره وأخبار السابقين، والثاني جدول أحداث تاريخية هامة، والثالث قوانين وأنظمة في العهود الماضية، الرابع أنساب وأحساب الأسياد المشهورين، والخامس ظواهر اجتماعية وتاريخية. ولد سي ما تشيان سنة ١٤٥، وتوفي سنة ٩٥ قبل الميلاد، كان أحد كبار علماء التاريخ في الصين، كما أنه من أبرع الأدباء والمفكرين في عصره، وصنف هذا الكتاب لتحقيق أمنيات أبيه المتوفي رغم أنه أصيب بعقوبة الخصاء، إذ كان يدافع عن أحد قواد الجيش أمام الملك.

(١١) ولد تساو تساو سنة ١٥٥، وتوفي سنة ٢٢٠ بعد الميلاد، وكان واحدا من كبار القادة السياسيين في نهاية عهد سلالة هان الشرقية الملكية، وهو شاعر مشهور ذو طموح سياسي كبير في عصره كذلك. وشبه ذاته في إحدى قصائده بمذكّى (حصان كبير في السن)، وما زال يعدو حتى يصل إلى مكان أبعد يمكن. ولد تساو بي سنة ١٨٧، وتوفي سنة ٢٢٦ بعد الميلاد، وكان ملكا لمملكة وي (سنة ٢٢٠ – ٢٢٦ على العرش)، وشغف بكتابة الشعر منذ الصغر، وصار أحد روائد المدرسة الشعرية المسماة بـ "جيان أن" (Jian An) التي تتصف بالحماسة والبساطة والعواطف المندفعة وتهدف إلى التعبير عن أحلام العصر وطموح الشعراء. وترك لنا ستة مجلدات تضم معظم أعماله الأدبية. ولد تساو تشي سنة ١٩٢، وتوفي سنة ٢٣٢، وهو شاعر مشهور كأبيه وأخيه الأكبر، وجمع المتأخرون أعماله الأدبية في عشرة مجلدات في القرن العاشر، ومن بينها ثمانون قصيدة تقريبا. ولد تاو يوانمنينغ سنة ٣٥٢، وتوفي سنة ٤٢٨ ميلاديا، وكان أشعر أهل عصره، وهو صاحب المجموعة الأدبية ((تاو يوانمنينغ)) (Tao Yuan Ming Ji) التي تتضمن أكثر أعماله الأدبية. وآمن بقضاء الإنسان، وارتضى به، ودعا إلى التخلص من الحزن والتفجع وتفريج الهموم والتمتع بكل ما يحيط بنا في الحياة من سعادة وفرح.

(١٢) كتبت هذه القصيدة في أثناء عهد أسر بي الملكية، وجمعت في الديوان الشعري في القرن الحادي عشر الذي يتضمن أكثر من ٥٠٠٠ قصيدة في مائة مجلد.

(١٣) هذه المقالة واحدة من مقالات كتاب ((في النقد)) (Lun Dian) الذي ألفه تساو بي، وقد أثبت المؤلف فيها أهمية الأدب ووظيفته، ثم تحدث عن علاقات بين الأساليب الفنية للكتاب ومستوى تعليمه وتثقيفه، كما تكلم عن خصائص النصوص ومقاييسها وموقف النقاد.

(١٤) ولد تشونغ رونغ سنة ٤٦٨، وتوفي سنة ٥١٨ ميلاديا، وكان ناقدا في حقل الأدب، وعاش في عهد أسر نان الملكية، وحظي بمكانة رفيعة بين من عاصروه. قسم المؤلف كتاب ((تذوق الشعر)) كل طائفة إلى ثلاث طبقات، ووضع في الطائفة الأولى أحد عشر شاعرا، ووضع في الثانية تسعة وثلاثين شاعرا، ووضع في الثالثة اثنتين وسبعين شاعرا، وجمع فيه حوالي ١٢٢ من الشعراء الذين عاشوا ما بين القرن الثالث قبل الميلاد والقرن السادس بعد الميلاد. وكان يورد لبعض الشعراء أبياتا كالنموذج الشعري في سياق التحدث عن موضوع ما، وقد كتب مقدمة رائعة للتعريف بعتر وتطور أحد أنواع الشعر الصيني القديم الذي هو ذو المصراع خماسي الألفاظ. وفي الغالب الأكثر اكتفي بأن يشير إشارة عابرة إلى أسباب عيوب الشعر دون ذكر التفاصيل.

(١٥) ولد ليو شيه سنة ٤٦٥، وتوفي سنة ٥٢٠ ميلاديا، وكان من أشهر النقاد في عصره، كما كان ملما بالدراسة البوذية. التنين الصيني حيوان خرافي ودائما ما يصور في فن الرسم والنحت وغيرهما بشكل طويل هائل أفعواني، ومفهوم التنين الصيني يختلف جدا عن مفهومه الغربي، إذ يرمز في الصين إلى العزة والقوة والبركة، وتطلق "أمة التنين" على الأمة الصينية أحيانا، حتى يقال إن حرب الأفيون التي اندلع لسان لهبها عام ١٨٤٠ قد أيقظت هذا التنين النائم من سباته. وقد أكد المؤلف ضرورة الجمال الفني في كتابه، ولام كل الأدب الفاحش والتافه والأدب المنتحل والمسروق، ودعا إلى صدق العواطف وحسن توظيف الأساليب البلاغية.

(١٦) ولد لي داويوان سنة ٤٧٠، وتوفي سنة ٥٢٧ ميلاديا، وكان أحد أنبغ علماء الجغرافيا الذين أنجبتهم الصين، ويعتبر مؤسس أدب الرحلة في الصين. كان كتاب ((جريان الأنهار)) الأصلي مفقودا في العهد القديم، ولم يبق بين أيدينا إلا تفسيره هذا، وبلغت مصادره ومراجعه أكثر من ٤٠٠ كتاب.

(١٧) جمع هذه القصة قان باو (Gan Bao) المتوفي سنة ٣٣٦ ميلاديا في كتابه المعنون باسم ((مذكرة للبحث عن الآلهة)) (Sou Shen Ji) الذي يضم أكثر من أربعمائة من الحكاية الخرافية الشعبية، وهو يعد واحدا من أنبغ الأدباء وعلماء التاريخ في عصره.

(١٨) ولد لي باي سنة ٧٠١، وتوفي سنة ٧٦٢ ميلاديا، وجمعت أكثر قصائده في ديوان شعري يحمل اسمه. ومن أشهر أبياته قوله: لقد أعطيت حياة وموهبة، لا شك أني سأكون رجلا مفيدا ذات يوم؛ وإن كانت الأموال كلها قد تبددت، ستعود إلى صاحبها مرة ثانية.

(١٩) تشتمل هذه العصور على سلالتي سونغ الشمالية (Bei Song) والجنوبية الملكيتين (Nan Song)، وسلالة يوان الملكية (Yuan)، وسلالة مينغ الملكية (Ming)، والإمبراطورية تشينغ (Qing)، امتدادا من القرن ال١٠ إلى بداية القرن ال٢٠ ميلاديا. وكان انتهاء حكم الإمبراطورية تشينغ إيذانا بانتهاء الحكم الإقطاعي في أرجاء الصين.

(٢٠) ولد لو يو سنة ١١٢٥، وتوفي سنة ١٢١٠ ميلاديا، وجمعت معظم قصائده في ديوانين، ولأحدهما ٨٥ مجلدا وللأخر ٤٢ مجلدا. تأسست سلالة سونغ الجنوبية الملكية سنة ١١٢٧، وانتهى حكمها سنة ١٢٧٩ ميلاديا.

(٢١) تأسست سلالة يوان الملكية سنة ١٢٧١، وانتهى حكمها سنة ١٣٦٨ ميلاديا. ولادة قوان خانتشينغ غير معروفة، وتوفي سنة ما بين ١٢٩٠ و١٣٧٠ ميلاديا.

(٢٢) تم تأليف كتاب ((الممالك الثلاثة)) على يد لوه قوان تشونغ (Luo Guan Zhong) (سنة ١٣٣٠ – ١٤٠٠ ميلاديا) حسب الأحداث التاريخية الحقيقية التي وقعت في فترة الممالك الثلاثة امتدادا من سنة ٢٢٠ إلى سنة ٢٨٠ ميلاديا. تم تأليف كتاب ((حكاية ضفة البحيرة)) على يد شيناي أن (Shi Naian) (سنة ١٢٩٦ – ١٣٧٢ ميلاديا) ولوه قوانتشونغ وجين شنغتان (Jin Shengtan) (سنة ١٦١٠ – ١٦١١ ميلاديا). تم تأليف كتاب ((رحلة إلى الغرب)) على يد وو تشنأن (Wu Chenen) (سنة ١٥٠١ – ١٥٨٢ ميلاديا). تم تأليف كتاب ((حلم المقصورة الحمراء)) على يد تساو تشيويهتشين (Cao Xueqin) (سنة ١٧١٥ – ١٧٦٣ ميلاديا) وقاو أ (Gao E) (سنة ١٧٣٨ – ١٨١٥ ميلاديا).

المصادر والمراجع

١– تشونغ، جيكون (٢٠١٠). تاريخ الأدب العربي. ط١. دار ييلين، نان جينغ، الصين.

٢– قوه، جي وآخرون (١٩٩٨). قصص تاريخ الأدب الصيني. ط١. ج ١. دار النشر الشعبي لجي لين، تشوانغ تشون، جي لين.

٣– قوه، جي وآخرون (١٩٩٨). قصص تاريخ الأدب الصيني. ط١. ج ٢. دار النشر الشعبي لجي لين، تشوانغ تشون، جي لين.

٤–ضيف، شوقي (١٩٧٣). التاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي. ط١. دار المعارف، القاهرة، مصر.

٥–ضيف، شوقي (١٩٦٠). التاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي. ط١. دار المعارف، القاهرة، مصر.

٦-ضيف، شوقي (١٩٧٣). التاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني. ط١. دار المعارف، القاهرة، مصر.

٧-سليم، محمود رزق (١٩٥٧). الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث. ط١. مؤسسة مصرية للطباعة الحديثة، القاهرة، مصر.

٨- لي، شياولونغ وآخرون (٢٠٠٤). تاريخ الأدب الصيني. ط١. ج١. دار النشر للآداب والتاريخ، بكين، الصين.

٩- يوان، شينغبي (٢٠٠٣). تاريخ الأدب الصيني. ط١. ج١. دار النشر للتعليم العلي، بكين، الصين.

١٠- يوان، شينغبي (٢٠٠٣). تاريخ الأدب الصيني. ط١.ج٢. دار النشر للتعليم العلي، بكين، الصين.

١١- يوان، شينغبي (٢٠٠٣). تاريخ الأدب الصيني. ط١. ج٣. دار النشر للتعليم العلي، بكين، الصين.

١٢-مكي، أحمد. (١٩٩٩). دراسة في مصادر الأدب. ط٢. دار الفكر العربي، القاهرة، مصر.

١٣-مندور، محمد. (٢٠١٢). الأدب وفنونه. ط١. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

References & Sources

1.Zhong, Jikun (2010). History of Arabic Literature. 1st Ed. Yilin Publishing House, Nan Jing, China.

2.Guo, Jie et al. (1998). Stories of Chinese Literature History. 1st Ed. Part 1. People's Press of Ji Lin, Chuang Chun, Ji Lin.

3.Guo, Jie et al. (1998). Stories of Chinese Literature History. 1st Ed. Part 2. People's Press of Ji Lin, Chuang Chun, Ji Lin.

4.Daif, Shawky (1973). History of Arabic Literature: Islamic Era. 1st Ed. Dar Al-Maaref, Cairo, Egypt.

5. Dhaif, Shawky (1960). History of Arabic Literature: Pre-Islamic Era. 1st Ed. Dar Al-Maarif, Cairo, Egypt.

6.Dhaif, Shawky (1973). History of Arabic Literature: the Second Half of the Abbasid Era. 1st Ed. Dar Al-Maarif, Cairo, Egypt.

7.Salim, Mahmoud Rizk (1957). Arabic literature and Its history in the Era of the Mamluks, the Ottomans, and the Modern Era. 1st Ed. Egyptian Modern Press Group, Cairo, Egypt.

8.Li, Xiaolong et al. (2004). History of Chinese Literature. 1st Ed. Part 1. Literature and History Press, Beijing, China.

9.Yuan, Xingpei (2003). History of Chinese Literature. 1st Ed. Part 2. Literature and History Press, Beijing, China.

10.Yuan, Xingpei (2003). History of Chinese Literature. 1st Ed. Part 3. Literature and History Press, Beijing, China.

11.Yuan, Xingpei (2003). History of Chinese Literature. 1st Ed. Part 3. Higher Education Press, Beijing, China.

12.Makki, Ahmed. (1999). Study of Literature Sources. 2nd Ed. Arab Thought Press, Cairo, Egypt.

13.Mandour, Muhammad. (2012). Literature and Its Arts. 1st Ed. Egyptian Renaissance Press for Printing, Publishing and Distribution, Cairo, Egypt.

A Comparative Study of the Development Process between Ancient Chinese and Arabic Literature

Yanglu Li

Shanghai International Studies

University-School of Asian and African

lylken@hotmail.com

Abstract:

Both China and the Arab World are famous for their ancient literature history. Accordingly, a large number of ancient proses and poems appeared in both two regions in the earlier time. Then, those kinds of literary arts developed through different ages, just as the criticism, rhetoric and other knowledge concerned with the literature did, and there're many similarities as well as differences between the developmental process of ancient Chinese literature and the ancient Arab literature. In the tide of globalization, the earth has become much smaller thanks to the development of technology. Thus, more and more Chinese people desire to know about the Arab world, just as the Arab people want to know about China, so the contacts between them have been intensified, such as the exchanges in the field of ancient literature. To enhance the study of the ancient Arabic and Chinese literature, we need to pay more attention to their developmental track including their origins, developmental stages, achievements, and representatives, etc. This modest paper aims to study the above topics based on the documentary method. It will also resort to the descriptive-analytical approach and the comparative approach to solve the related problems.

Keywords: Ancient Chinese Literature, Ancient Arabic Literature, Comparative Literature, Literature Characteristics